ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة(107)
اعرف امامك ج٦
المقدمة الثالثة: من هنا نبدأ حركتنا في معرفة امام زماننا ق٣
الاثنين : ٦/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ١٩/٤/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

خلاصةُ القول:
الأربعة عشر صلواتُ الله عليهم هُم الأسماءُ الحسنى بصريحِ كلامهم، وغيرهم مهما علا شأنهُ من مظاهرِ الأسماء الحُسنى، وهذا هو الَّذي تتحدَّثُ عنهُ أحاديثُ الطينة، فطينتهم شيء والبقيّةُ من فاضلِ طينتهم، وفاضلُ الطينة فيه ما فيه من المراتب الكثيرة للَّذين ظهرت فيهم تلكَ التجلّياتُ من فاضلِ طينتهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، الحمزةُ بكُلِّ شأنهِ يغبطُ العبّاس، والعبّاسُ بكُلِّ فضلهِ يساوي صفراً عند الحُسينِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، فالحسينُ شيءٌ وغيرهُ شيء آخر.
- إذا كانَ شأنُ الحمزة بن عبد المطلب هو هذا ما تقدَّم من حديث عنه، ومن أنَّهُ يغبطُ قمر الهاشميين.
- وإذا كانَ شأنُ قمر الهاشميين هو هذا؛ (يَا **نَفسُ من بَعد الحُسَين هُوني .. وَبَعدَهُ لَا كُنت أو تَكُوني**)، إذا كان شأنُ العبّاسِ هو هذا.
- فما شأني أنا؟ وما شأنكم أنتم؟ وما شأن الباقين بين يدي إمام زماننا الحجَّة بن الحسن؟!

هذه هي الحكمةُ الَّتي لأجلها بدأتُ حديثي في المقدِّمة الثالثة هذه من لقطات وصورٍ في أجواء أسد الله وأسد رسوله إلى أن وصلنا إلى فناء القمر صلواتُ الله عليه، الغايةُ الَّتي كنتُ أريدُ أن أصلَ إليها هي هَذه، مَن هنا نبدأ هذه هي النقطةُ الصَحيحةُ الَّتي يجبُ أن نبدأ منها ونحنُ نتحرَّكُ باتجاه معرفةِ إمام زماننا، من دونِ هذه النقطة ومن دونِ أن نقفَ عندها ومن دونِ أن نصل إليها ومن دونِ أن نتشبّث بها لن نستطيع أن نتحرك بشكلٍ صحيحٍ ونحوٍ سليمٍ باتجاه معرفة إمام زماننا الحُجَّة بن الحسن، (**رَحِمَ اللهُ امْرِئاً عَرِفَ قَدْرَ نَفْسه**).
الحكمةُ أتعلمون أين يمكن أن تنمو، وأن تخضَّر أوراقها، وأن تتفتَّح أزهارها، وأن تكون ثمارها يانعةً أتعلمون أين تكون؟!
سألنا آلَ مُحَمّد فأجابونا، قالوا: إنَّ الحكمة تكونُ حيثما تكونُ القلوبُ متواضعة، إنَّهُ التواضعُ لـمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، لا أتحدَّثُ عن التواضع في العلاقات الاجتماعية فيما بينَ الناس وهو أمرٌ جميلٌ وحَسَنٌ، الحديثُ ليس عن هذهِ الجهة. الحكمةُ إنَّما تنبتُ أين؟ في العقولِ وفي القُلوبِ الَّتي تتواضعُ في فناءِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

في دعاء الاستئذان الَّذي يقرأُ عند زيارة السردابِ في سامراء:
ماذا نقرأُ في دعاء الاستئذان الشريف؟: **وَفِّقنَا للسَّعي إِلَى أَبْوَابِهِمُ العَامِرَة إِلَى يَومِ الدِّين** - أقرأ عليكم من مفاتيح الجنان - **وَفِّقنَا للسَّعي إِلَى أَبْوَابِهِمُ العَامِرَة إِلَى يومِ الدِّين، وَاجْعَل أَرْوَاحَنَا تَحنُّ إِلَى مَوْطِئِ أَقْدَامِهِم، وَنُفُوسَنَا تَهوَى النَّظَرَ إِلَى مَجَالِسِهِم وَعَرَصَاتِهِم حَتَّى كَأَنَّنَا نُخَاطِبُهُم فِي حُضُورِ أَشْخَاصِهِم** - إلى أن يقول الدعاء: **اللَّهُمَّ فَأَذِنَ لَنَا بِدخُولِ هَذه العَرَصَات الَّتي استَعْبَدَتْ بِزِيَارَتِهَا أَهْلَ الأَرَضِيْنَ وَالسَّمَاوَات.**
نحنُ هكذا نُخاطبُ الحُسينَ حينما نزورهُ بزيارة وارث في الأَدعية الَّتي هي في مُقدِّمة زيارة وارث نُخاطبُ الحُسين هكذا، عودوا إلى مفاتيح الجنان: (عَبْدُكَ **وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ الْمُقِرُّ بِالرِّقِ** - هذا هو أنا - **عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِك وَابْنُ أَمَتِك الْمُقِرُّ بِالرِّق**).
- **وَأَرْسِل دُمُوعَنَا بِخُشُوعِ الْمَهَابَة وَذَلِّل جَوَارِحَنَا بِذُلِّ العُبُودِيَّة** - من هنا، من هنا يبدأُ المسير باتجاه معرفة الحُجَّة بن الحَسن، وهذا الدعاءُ يُقرأُ في زيارةِ السرداب الشريف إنَّهُ استئذانٌ لدخول السرداب: **وَذَلِّل جَوَارِحَنَا بِذُلِّ العُبُودِيَّةِ وَفَرْضِ الطَّاعَةِ حَتَّى نَقِرَّ بِمَا يَجِبُ لَهُم مِنَ الأَوْصَاف** - إلى آخرِ الدعاء.

من هنا نبدأ يا أشياع الحُجَّة بن الحسن، إذا كنتم عازمين أن تبدأوا المسير باتجاه معرفة إمامِ زمانكم، من هنا مُنطلقنا من هنا حركتنا من هنا حين تتلاشى معانينا في جوارِ أفنيةِ صاحبِ الأمر، ليس لنا من الشأن أن ندخل في تلك الأفنية المطهَّرة نحنُ نجاورُ أفنيتهُ.
- **وَذَلِّل جَوَارِحَنَا بِذُلِّ العُبُودِيَّة وَفَرْضِ الطَّاعَة.**
- **عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِك وَابْنُ أَمَتِكَ الْمُقِرُّ بِالرِّق التَّارِكُ لِلْخِلَاف عَلَيْكُم.**
هكذا نخاطبهم في زياراتهم وهكذا نُناجيهم ونحنُ نعلمُ بقطعٍ من أنَّهم يستمعون إلينا، ينظرون إلينا، يراقبوننا، فإذا ما كانت قلوبنا هشَّةً بشَّةً متواضعةً تعيشُ هذا المعنى تعيشُ معنى ذُلِّ العُبودية والطاعة والتسليم حينئذ سننتظرُ الفرج، إنَّهُ فرج الحكمة، إنَّها رحمةُ المعرفة، إنَّها القلوبُ الَّتي تُخلصُ لله فتتفجَّرُ ينابيعُ الحكمة من تلكَ القلوبِ على الألسنة، هذا هو الَّذي نتحرَّكُ باتجاهه، وتلكَ هي الحكمةُ وتلكَ هي المعرفةُ اليمانيّةُ الخالصة، علينا أن نعرف أنفسنا وأن نعرف الواقعَ الَّذي يحيطُ بنا.

وصيّةُ رسول الله لأبي ذر:
هذه الوصيةُ إذا ما درسنا حياةَ أبي ذر إلى أن توفي رضوان الله تعالى عليه في الرّبذة، إذا درسنا حياةَ أبي ذر ذاكَ الَّذي هو أصدق ذي لهجة كما يقول رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله، أبو ذَر على الأقل هذا المقطع الَّذي سأقرؤهُ عليكم من وصيةِ رسول الله لأبي ذر كانَ واضحاً في كُلِّ مواقفه، في كُلِّ أفعاله وأقواله، وفي أفعاله قبلَ أقواله.

إنَّني أقرأ عليكم من مكارم الأخلاق:
مكارمُ الأخلاق للمُحدِّث الطبرسي رحمةُ الله عليه، صفحة ٤٦٥ / وصيةُ رسول الله لأبي ذر وصيةٌ طويلة، لكنَّني سأقفُ عند هذهِ الكلمات، ماذا قال رسول الله لأبي ذر؟
يَا أَبَا ذَرّ لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفقه - والفقهُ هو العقيدةُ السليمة، الفقهُ ما هو الفتاوى، الفتاوى في حاشية الفقه، الفقهُ هو العقيدةُ السليمة، الفقهُ معارفُ القُرآن الحقيقية بحسبِ تفسيرِ عليٍّ وآلِ عليٍّ، هذا هو الفقه.

يَا أَبَا ذَرّ لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفقه حَتَّى يَرَى النَّاسَ فِي جَنْبِ الله أَمْثَالَ الأَبَاعر - هاي البعارين اللي احنا ماشيين وراها وين راح يودونا؟! - **ثُمَّ يَرجِعَ إِلَى نَفْسه فيَكُونَ هُوَ أَحْقَرَ حَاقِرٍ لَهَا** - ويرى نفسهُ دونَ ذلك، هذه هي النقطةُ الَّتي لابُدَّ أن نصل إليها، فالبعيدونَ عن إمامِ زماننا هم أباعر، أمثالُ الأباعرِ، الأباعر الأباعر لا عيب فيها، الأباعر الأباعرُ الَّتي تُركبُ إنَّها مِن آياتِ خلق الله.

الأباعرِ بما هي أباعر، الإبلُ بما هي إبلُ جميلةٌ في حدِّ ذاتها، وكم انتفعَ النَّاسُ من الأباعرِ والنِّياقِ والجمال، لكنَّ الحديثَ هنا عن صُورةٍ تُنتزعُ من شأنِ الأباعرِ ما يُشيرُ إلى انعدام البصيرة، وانعدام العقلِ إلى جهةٍ سلبيةٍ في هذه الكائنات، وكُلُّ كائنٍ من الكائناتِ فيه محاسنهُ وفيه مساوئهُ، محاسنهُ من جهةِ انتسابه إلى حكمةِ الله، ومساوئهُ من جهةِ ضعفه ونقصه بحسبِ أحواله الَّتي ترتبطُ به من حيثُ هو بالقياسِ إلى ما هو الأعلى وما هو الأشرف، لا أريدُ أن أفلسفَ الأمرَ إلى ذلك البُعد الفلسفي العميق وحينئذٍ سأخرجُ من طوايا حديثي الَّذي أنا بصدده.

- **يَا أَبَا ذَرّ لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفقه حَتَّى يَرَى النَّاسَ فِي جَنْبِ اللَه أَمْثَالَ الأَبَاعر** - هؤلاء تأتون بهم وتجعلونهم في جنبِ صاحبِ الزمان؟! أيُّ عُقول عندكم ماذا أنتم صانعون بأنفسكم؟! ماذا صنعنا نحنُ جميعاً بأنفسنا؟! وماذا صنع بنا أجدادنا وآباؤنا؟! أباعر ونَصِفهم بهذهِ الأوصاف؛ آيةُ اللهِ العظمى الإمامُ البعراني دام روثهُ وبعرهُ على رؤوسنا ورؤوس العباد.

في نهج البلاغة الشريف:

في نهج البلاغة الشريف، في الخطبة السابعة والثمانين من خُطَبِ أمير المؤمنين، سَيِّدُ الأوصياء يقول: **فَأَيْنَ تَذْهَبُون وَأَنَّى تُؤْفَكُون وَالأَعْلَامُ قَائِمَة وَالآيَاتُ وَاضِحَة وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَة فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُم وَكَيْفَ تَعْمَهُون - فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُم وَكَيفَ تَعْمَهُون وَبَيْنَكُم عِتْرَةُ نَبِيِّكُم وَهُم أَزِمَّةُ الحَقّ وَأَعْلَامُ الدِّين وَأَلْسنَةُ الصِّدْق فَأَنْزِلُوهُم بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآن وَرِدُوهُم وُرُودَ الْهِيمِ العِطَاش** - الهيم هي الإبل - **وِرِدُوهُم وُرُودَ الْهِيمِ العطَاش** - الإمامُ يأخذُ صورةً هنا من حال الإبلِ العطشى حينما تهجمُ على الماء، فيأخذُ صُورةً من جمالِ شوقها إلى الماء يريدُ منَّا أن نكون هكذا مع إمامِ زماننا - **وِرِدُوهُم وُرُودَ الْهِيمِ العطَاش** - الهيمُ العطاش إنَّها الإبلُ العطشى.

وفي نهج البلاغة الشريف أيضاً، في الخطبة السابعة والتسعين، والإمامُ يُخاطبُ أهل العراق، يُخاطبُ أهل الكوفة: **أَيُّهَا القَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُم الغَائِبَةُ عَنْهُم عُقُولُهم** - إلى يومنا هذا يا أمير نحنُ هكذا، ما تغيَّرنا يا أمير، إليكَ أنباؤنا ما تغيَّرنا يا أمير، ها نحنُ كما كان أجدادنا، وكما مضى عليه آباؤنا.

- **أَيُّهَا القَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُم الغَائِبَةُ عَنْهُم عُقُولُهم الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤهُم الْمُبْتَلى بِهِم أُمَرَاؤُهُم** - نحنُ لا نتحدَّثُ عن أمراء الباطل، إنَّهم أمراءُ المؤمنين، سادةُ المؤمنين أئمَّتنا، إمامُ زماننا - **الْمُبْتَلى بِهِم أُمَرَاؤُهُم، صَاحِبُكُم** - أمير المؤمنين - **يُطِيعُ الله وَأَنْتُم تَعْصُونَهُ** - نحنُ كذلك يا أمير - **صَاحِبُكُم يُطِيعُ الله وَأَنْتُم تَعْصُونَهُ وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّام يَعصِي الله وَهُم يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَالله** - الأمير يقول، يقولُ عنَّا عن أهلِ العراقِ عن أهلِ الكوفة عن أهلِ النَّجف وكربلاء والبصرة والعمارة والنَّاصرية وعن وعن - **لَوَدِدتُ وَالله أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُم صَرفَ الدِّينَارِ بِالدِّرهَم** - الدينارُ آنذاك كانَ يساوي عشرةَ دراهم، فالأمير يريد أن يعطي عشرةً من رجال العراق كي يأخذَ من معاوية رجلاً من أهل الشام، هذا كلامٌ عليٌ ما هو كلامي - **لَوَدِدتُ وَالله** - الإمامُ هنا يستعملُ لام التوكيد (لوددتُ) لتأكيد كلامه، وبعد ذلك عليٌ يُقسمُ بأقوى الأقسام (والله) بحرف الواو ولفظ الجلالة وهو أشدُّ الأقسامِ في لغة العرب وحتَّى في الدينِ والعقيدة، فهل كانَ الأميرُ محتاجاً أن يستعملَ التوكيد وأن يُقسم بالله؟! لكنَّهُ يريدُ أن يُبيِّن لنا من أنَّ الأمر حقيقةٌ ولا زال أمرنا كذلك.

لَوَدِدتُ وَالله أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُم صَرفَ الدِّينَارِ بِالدِّرهَم فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِّنكُم وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِّنْهُم، يَا أَهْلَ الكُوفَة - الإمامُ لا يُخاطبُ أهل أربيل ولا يُخاطبُ أهل الموصل - **يَا أَهْلَ الكُوفَة مُنِيتُ مِّنْكُم بِثلاث وَاثْنَتين** - ما هي يا أمير المؤمنين؟ - **صُمٌّ ذُوو أَسْمَاع** - حاسةُ السمع موجودة بس طرشان طرمان غبران ثولان - **صُمٌّ ذُوو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذوو كَلام** - يستطيعون الكلام لكنَّهم عند الحقِّ شياطين، السَّاكتُ عن الحق شيطانٌ أخرس، والأخرسُ هو الأبكم - **يَا أَهْلَ الكُوفَة مُنِيتُ مِنْكُم بِثَلاث وَاثْنَتيْن** - والله ينطبقُ هذا الكلامُ على أصحاب العمائم في النَّجف فرداً فرداً دون استثناء، أقسمتُ وأنا متأكدٌ من ذلك بحسبِ علمي، لم يكن الكلامُ قد سبقني.

- **صُمٌّ ذُوو أَسْمَاع، وَبُكْمٌ ذوو كَلام وَعُمْيٌ ذوو أَبْصَار لَا أَحْرارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاء وَلَا إِخْوَانُ ثِقَة عِنْدَ البَلَاء** - هذا موقفهم مع إمامِ زماننا، مثلما يتحدَّثُ أميرُ المؤمنين عن الناس في أيامه، الموقفُ هو هو مع الحُجَّة بن الحسن، بل حالهم أسوأ، مراجعُ النَّجف سيخرجونَ لقتاله - **لَا أَحْرارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاء وَلَا إِخْوَانُ ثِقَة عِنْدَ البَلَاء تَرِبَتْ أَيدِيكُم** - ثُمَّ ماذا يقولُ لهم؟ - **يَا أَشْبَاهَ الإِبِل** - يا أباعر - **يَا أَشْبَاهَ الإِبِل، يَا أَشْبَاه الإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَت مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَت مِنْ آخَر** - كيف تستطيعُ أن تجتمعَ والقلوبُ متفرقة، والقلوبُ قد غدرت ببيعة الغدير.

قد يقولُ قائلٌ: عامَّةُ الشيعة لا يعرفونَ ذلك، هم يبايعونَ الَّذين غدروا ببيعة الغدير، ويضعونهم تيجاناً على رؤوسهم، ديخيّ يضعُ بعيراً على رأسه تاجاً.

يستمرُّ الأميرُ في حديثه ولكنَّهُ بعد ذلك يوجِّهُ خطابهُ إلينا: **انْظُرُوا أَهْلَ بَيْت نَبِيِّكُم - انْظُرُوا أَهْلَ بَيْت نَبِيِّكُم فَالْزَمُوا سَمْتَهُم** -كونوا على سيرتهم، كونوا على طريقتهم - **وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُم فَلَن** - ولن للنفي التأبيدي - **فَلن يُخْرِجُوكُم من هُدًى وَلَن يُعِيدُوكُم فِي رَدًى** - في هلاك - **فَإِن لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُم فَتَضِلُّوا وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُم فَتَهْلِكُوا** - هذا هو التسليمُ (وَذَلِّل جَوَارِحَنَا بِذُلِّ العُبُودِيَّةِ وَفَرضِ الطَّاعَة،) (عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ الْمُقِرُّ بِالرِّقِّ وَالتَّارِكُ لِلْخِلَافِ عَلَيكُم)، المضامينُ هي هي.

أعودُ إلى وصيةِ النَّبي لأبي ذر: **يَا أَبَا ذَرّ لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفقه حَتَّى يَرَى النَّاسَ فِي جَنْبِ الله أَمْثَالَ الأَبَاعر** - أمثال الأباعر إنَّها صورٌ منتزعةٌ على سبيلِ المماثلة، فحالُ أولئكَ أقبحُ من حال الأباعر - **ثُمَّ يَرجِعَ إِلَى نَفْسه فَيَكُون هُو أَحْقَر حَاقِرٍ لَها، يَا أَبَا ذَرّ، يَا أَبَا ذَرّ** - هذه الكلمةُ أخطر، الكلمةُ الآتية - **يَا أَبَا ذَرّ لَا تُصيبُ حَقِيْقَةَ الإِيمَانَ** - هذه لا النافية تنفي إصابةَ حقيقة الإيمان أن يصلَ إليها إلَّا - **يَا أَبَا ذَرّ لَا تُصيبُ حَقِيْقَةَ الإِيْمَانِ حَتَّى تَرَى النَّاسَ كُلَّهُم** - وهذا التأكيد (كلَّهم)، حتَّى لا تستثني عجولك البشرية الَّتي قدَّستها من عند نفسك، حتَّى لا تستثني تلك الأباعرَ الَّتي قادتنا في دروب الضلالة والبعد عن إمامِ زماننا - **يَا أَبَا ذَرّ لَا تُصيبُ حَقِيْقَةَ الإِيْمَانِ حَتَّى تَرَى النَّاسَ كُلَّهُم حَمْقَى فِي دِينِهِم وَعُقَلاء فِي دُنْيَاهُم** - ما هو هذا حالنا يا رسول الله هذا هو حالنا، هذا كلامُ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله ما هو كلامي. ومن هنا فإنَّ النجاة فقط بالعقيدة السليمة، والعقيدةُ السليمةُ تبدأ من هنا من نقطةِ التواضع فيما يجاورُ أفنية إمام زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه (وذَلِّل جَوَارِحَنا بِذُلِّ العُبُودِيّة)، تذكَّروا من أنَّ العباس جعل نفسهُ

تساوي صفراً وتلكَ حقيقةٌ، الأمرُ ليسَ مجازاً تلكَ حقيقةٌ حينما وقفَ أمام الحُسين، فكان صفراً، (يَا نَفسُ مِن بعدِ الحُسينِ هُوني .. وبعدهُ لا كُنتِ أو تَكُوني).

في رجال الكشي / صفحة ٥٧٥ / رقم الحديث ١٠٨٨ / إنَّها رسالةٌ من إمامنا الحسن العسكري صلواتُ اللهِ عليه مُوجَّهة لإسحاق بن إسماعيل، الرسالةُ طويلةٌ تبدأ في صفحة (٥٧٥) وتستمر.

في صفحة (٥٧٦)، والخطابُ موجَّهٌ للشيعة: **فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُم** - بالضبط إنَّها الكلماتُ الَّتي قرأتها عليكم قبل قليل من نهج البلاغة، كلماتُ الأمير في خطبته السابعة والثمانين الَّتي قرأتُ عليكم جانباً منها قبل قليل - **فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُم وَأَيْنَ تَذْهَبُون كَالأَنْعَامِ عَلَى وُجُوهِكُم عَن الحَقِّ تَصْدِفُون وَبِالبَاطِلِ تُؤْمِنُون وَبِنِعْمَةَ الله تَكْفُرُون** - إلى آخرِ ما جاء في كلامِ إمامنا العسكري صلواتُ الله عليه.

إلى أن يقولَ في صفحة (٥٧٧): **وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ وَالأَوْصِياءُ من بَعده لَكُنْتُم حَيَارَى كَالْبَهَائِم** - هذا الخطابُ يُوجّهُ للَّذين وصلوا إلى النقطة الَّتي أتحدَّثُ عنها، وإلَّا فإن الَّذين ما وصلوْا إلى تلكَ النقطة فهمَ كالأَنعام خَاطَبهم قبل قليل.

أعودُ بكم إلى الدعاء الأول من أدعية الصحيفة السجّادية الَّتي كتبها إمامنا السجّادُ بخط يده: **وَالْحَمْدُ للَّه الَّذِيْ لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَاده مَعْرِفَة حَمْده عَلَى مَا أَبْلاَهُم مِنْ مَنَنه الْمُتَتَابِعَة وَأَسْبَغَ عَلَيْهِم مِنْ نَعمه الْمُتَظَاهِرَة لَتَصَرَّفُوْا فِيْ مَنَنه فَلَم يَحْمَدُوه وَتَوَسَّعُوْا فِيْ رِزْقه فَلَم يَشْكُرُوه وَلَو كَانُوْا كَذَلكَ لَخَرَجُوْا مِنْ حُدُود الإِنْسَانِيَّة إِلَى حَدِّ البَهِيْمِيَّة فَكَانُوْا كَمَا وَصَفَ فِيْ مُحْكَم كِتَابه؛ "إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَام بَلْ هُم أَضَلُّ سَبِيْلاً"** - الحديثُ عن إنسانية وعن بهيمية ترتبطُ ارتباطاً مباشراً بالمعرفة. فلولا مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد لكُنَّا حيارى كالبهائم، إنَّني أتحدَّثُ عن الحيرة في فناء الحكمة والهداية، لا أتحدَّثُ عن حيرة في أمرٍ من أمور الدنيا، فنحنُ ما شاء الله حُكماء في أمورِ الدنيا، مثلما قال رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله لأبي ذر في وصيته: (**يَا أَبَا ذَرّ، لَا تُصِيْبُ حَقِيْقَة الإِيْمَان حَتَّى تَرَى النَّاسَ كُلَّهُم حَمْقَى فِي دِيْنِهِم عُقَلاءَ فِي دُنْيَاهُم**)، تلكَ هي الحقيقةُ الَّتي كان النَّاسُ عليها ولا زِلنا عليها.

لماذا تحدَّثتُ عن شمعون الصفا عن سمعان بطرس؟

في إنجيل يوحنا وفي الإصحاح الحادي والعشرين: **وبعدمَا أكَلوا قَال يَسوع لسمعان بُطرس: يا سمعان بن يوحنا، أتحبِّني أكثرَ ممَّا يُحبني هَؤلاء؟** - يشير إلى بقيةِ الحواريين - **فأجابهُ: نعم يا رب، أنْتَ تَعرِفُ أنِّي أحبِّك، فقال لهُ: ارْعَى خرَافِي** - وهذا هو النصُ الَّذي يُفسِّر في العقيدة المسيحية بوصيّة عيسى الَّتي وجَّهها إلى سمعان بطرس قال لهُ ارعى خرافي يعني أتباعي يعني الأُمَّة الَّتي تتبعني، فلا غرابة من الصور الانتزاعية في ثقافتنا الدينية. هذا الأمر موجودٌ في كُلِّ الديانات، وقد كرر هذا الأمر ثلاثاً في هذا النص - **وسألهُ مرَّةً ثانيةً: يَا سمعان بن يوحنا، أتحبِّني؟ فأجابهُ: نعم يا رَب، أنْتَ تَعرف أنِّي أحبُّك، فقال لهُ: ارعَى خرَافِي** - يعني أنت الوصي من بعدي، أنت المنصّبُ من قبلي حتَّى على هؤلاء الحواريين - **وسألهُ مرَّةً ثالثة: يا سمعانُ بن يوحنا، أتحبِّني؟ فحزِنَ بطرس لأنَّ يسوع سألهُ مرَّةً ثالثة أتُحبِّني! فقال: يا رَب، أنْتَ تعرفُ كُلَّ شيء، وتعرفُ أنِّي أحبُّك، فقال لهُ يسوع: ارعَى خرافي** - فعبر هنا عن الأُمَّة الَّتي تتَّبعهُ بالخراف، وهذا في مقامِ المدح، مثلما قُلتُ لكم هذه صورٌ تُنتزعُ انتزاعاً من حيثية من الحيثيات.

في تفسيرِ إمامنا الحسنِ العسكري صلواتُ الله وسلامهُ عليه، صفحة (٤٣٤) حيثُ يَبدأ الحديث رقم (٣٠٣) عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله، في سياقِ هذا الحديث يأتي الكلامُ في صفحة (٤٣٥): عمَّا دار من حديث فيما بين خاتم الأنبياء وسيّد الأوصياء، ليلة المبيت على الفراش، في الليلة الَّتي خرجَ فيها رسولُ الله مُهاجراً إلى المدينة، حيثُ باتَ الأميرُ في فراشِ النَّبي الحادثةُ المعروفةُ الَّتي يعرفها المؤالفُ والمخالفُ في أهل القبلة الَّذين يُصلُّون باتجاه القبلة.

سأذهبُ إلى موطن الحاجة لضيق الوقت رسولُ الله يقولُ للأمير: **أَرَضِيْتَ أَنْ أُطْلَبَ فَلا أُوْجَد** - يعني أن يطلبوا قتلي - **وَتُوجَد** - أنْتَ توجد، توجد في مكاني - **أَرَضِيْتَ أَنْ أُطْلَبَ فَلا أُوْجَد وَتُوجَد** - أنت، وتوجد يا عليّ في المكان الَّذي يطلبون فيه قتلي - **فَلَعَلَّهُ أَنْ يُبَادرَ إِلَيْكَ الجُهَّالُ فَيَقْتُلُوك** - فماذا قال الأمير؟ - **قَالَ: بَلَى يَا رَسُول الله، رَضِيْتُ أَنْ تَكُونَ رُوحي لِرُوحكَ وِقَاءَ وَنَفْسي لِنَفْسكَ فِدَاءَ بَل قَد رَضِيْتُ أَنْ تَكُونَ رُوْحي وَنَفْسي فِدَاءً لأَخٍ لَكَ أو قَرِيْبٍ أو لِبَعضِ الحَيوَانَاتِ تَمْتَهِنُهَا** - هذا كلامُ الأمير مع رسولَ الله، هذه حقائقُ تفسير العسكري الَّذي يريدُ هؤلاء الأباعر أن يُبعدونا عن هذه الحقائق.

أمير المؤمنين هكذا يقولُ لرسول الله هذا أدبُ الخطابِ معَ إمامِ الزَّمان، وعليّ هو نفسُ مُحمَّد، لكن لولا الحيثيات لبطُلت الحكمة، بالضبط كالصور الَّتي تُنتزعُ من الحيوانات، مرَّةً تُؤخذُ بحيثية ممدوحة ومرَّةً تُؤخذُ بحيثية مذمومة، فالدنيا مُتكثِّرةٌ والصورُ فيها كثيرةٌ وكثيرةٌ ومُتكاثرة، وفي كُلِّ صورة أبعادٌ وفي كُلِّ بُعد جهةٌ وتلكَ هي الحيثيةُ الَّتي يُنظرُ إليها، لولا الحيثياتُ لبطُلت الحكمة، الحكمةُ هي هذه، أن نحفظ الخصوصيات في كُلِّ حيثيةَ من حيث هي، وفي كُلِّ اتجاه بحسبِ ذلك الاتجاه وحدوده وجهته، فعليّ هو نفسُ رسول الله بصريح القُرآن: ﴿ **وَأَنْفُسَنَا** ﴾، في آية المباهلة، وعليّ هو عبدٌ من عبيد مُحمَّد بصريح كلامه، وعليّ هو هذا سرورهُ أن يكون فداءً لدابَّةٍ من دوابِ رسول الله الَّتي يمتهنها، يستعملها، يستعملها في حاجاته وأغراضه اليومية، هذا هو معنى الامتهان.

الأمير يقول: **وَهَلْ أُحِبُّ الحَيَاة إِلَّا لِخدْمَتك وَالتَصَرُّف بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِك وَلِمَحَبَّة أَوْلِيَائك وَنُصْرَة أَصْفِيَائك وَمُجَاهَدَة أَعْدَائك لَولا ذَلك لَمَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَعِيْشَ فِي هَذه الدُّنْيَا سَاعَةً وَاحِدَة** - هذه الخدمةُ الَّتي يتحدَّثُ عنها الصَّادق المصدَّق، هذا هو حديثُ أهل البيت يشرحُ بعضهُ بعضاً، ألا لعنةٌ على حوزة النَّجف الَّتي دمَّرتنا ودمَّرت عقائدنا، هذا هو منطقُ العترة الطاهرة، يا أشياع الحُجَّة بن الحسن هذه ثقافةُ العترة الطاهرة إلى أينَ أنتم ذاهبون وراء تلكَ الأباعر إلى أين ذاهبون؟!

هذا منطقُ عليّ معَ رسول الله إنَّها الحيثيةُ الَّتي يتحدَّثُ بها مأمومٌ معَ إمامِ زمانه، هكذا يُعلِّمنا عليّ، فعليّ ليس مُحتاجاً أن يقول هذا الكلام، ومُحَمَّدٌ يعرفُ علياً ولا يحتاج من عليّ هذا الكلام، مُحَمَّدٌ هو عليّ وعليّ هو مُحَمَّدٌ، لكنَّ هذه الأمور لابُدَّ أن تجري ولابُدَّ أن تتحقَّق على أرض الواقع كي تُنقل إلينا كي نعرف كيف نتصرَّفُ معَ إمامِ زماننا، مع أئمَّتنا.

من هنا قلتُ لكم: هذه المقدِّماتُ الَّتي وصلنا إلى آخرها بمثابة الوضوء لهذا البرنامج، هذه المقدِّماتُ إذا ما أتقنتموها ووافقتموني عليها فإنَّكم ستخرجون حينئذ من منطقة المطبّات الخطيرة ستدخلون إلى المنطقة الآمنة.

المنطقةُ الآمنة هي هذه الَّتي يُخبرنا عنها إمامنا سيّدُ الشُهداء إمامنا الحسينُ في دعاءه في يوم عرفة، وأنا أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان): **إِلَهِي إِلَهِي مَنْ كَانَت مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي** - نحنُ نحن في أحسن حالنا هو هذا، بقيّة الله، بقيّة الله، بقيّة الله - **مَنْ كَانَت مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي فَكَيفَ لَا تَكُونُ مَسَاوِيه**

مَساوِي - هذا هو حالنا يا بقيّة الله، علينا يا أشياع الحُجَّة بن الحسن أن نعيشَ هذا المعنى معَ إمامِ زماننا في جوارِ أفنيتِه المقدَّسة - **مَنْ كَانَت مَحاسِنُهُ مَساوي فَكيفَ لَا تَكُونُ مَساوِيه مَساوِي، وَمَنْ كَانَت حَقَائِقهُ دَعَاوِي فَكَيفَ لَا تَكُون دَعَاوِيه دَعَاوِي** -

الصدِّيقةُ الكبرى في خُطبتها المعروفة في مسجد أبيها رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله وهي تُحدِّثُ المهاجرين والأنصار عن الحكمة من التشريعات، في الجزء الثاني من (عوالِم فَاطمَة)، من موسوعة عَوالِم العلوم للمُحدِّث البحراني / صفحة (٦٥٩) من خطبة الزّهراء المعروفة: **فَجَعَلَ اللهُ الإِيمَانَ تَطْهِيْراً لَكُم مِنْ الشِّرك وَالصَّلاةَ تَنْزِيْهاً لَكُم عَنِ الكِبْرِ** - أيُّ كِبْرٍ هذا؟ إنَّهُ الكِبْرُ في فناء إمام زماننا، لِيسَ الحديثُ عن الكِبْرِ في العلاقات الاجتماعية هو أمرٌ قبيحٌ، لكنَّ الحديث هنا عن أنَّ الصَّلاة إنَّما شُرِّعت تنزيهاً لنا عن الكِبْرِ؛ عن الكِبْرِ الإبليسي، الكِبْرِ الإبليسي الَّذي دفعَ إبليس أن يخرج من ساحة الرّحمة بعد أن رفضَ أن يسجد لأبينا آدم، وما كانَ السجو دُ لأبينا آدم، كانَ السجودُ لنورٍ من أنوارِهم صلواتُ الله عليهم شعَّ في هذا الكائن الجديد في أبينا آدم، فأمرَ اللهُ الملأ الأعلى أن يسجدوْا جميعاً لهذا الكائن الجديد الَّذي شعَّ فيه نورٌ من مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، إبليس رفضَ فتكبَّر على أبينا آدم فأُخرج، حكايةُ إبليس وحكايةُ أبينا آدم، فجاءت الصَّلاةُ تنزيهاً عَن ذلكَ الكِبْرِ إنَّهُ الكِبرُ في فناء أئمَّتنا، فهذه الصَّلاةُ أساساً شُرِّعت لأجلِ ذكرهم، لأجلِ أن نُديم ذكرهم، أحاديثُ العترة هكذا أخبرتنا، نحنُ لا نستطيعُ أن نتواصلَ معَ الله بَشكلٍ مباشَرَ، نتواصل مَعَ الله بشكلٍ مباشر عبرهم، هم وجهُ الله، (**أَيْنَ وَجْهُ الله الَّذي إِلَيه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء**).

إذا ما ذَهبنا إلى سورة فاطر وفي الآية الخامسة بعد العاشرة بعد البَسملة: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى الله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ** ﴾، الفقراء إلى اللهِ؛ نحنُ الفقراءُ إلى إمامِ زماننا (لَو بَقِي في الأرض اثْنان لَكانَ أَحَدهُما الحُجَّة)، لأنَّ الثاني يحتاجُ الحُجَّة، أمَّا الحُجّةُ فلا يحتاج الثاني، نحنُ الفقراءُ إلى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد لولاهم لكُنَّا حيارى كَالبهائم كما في رسالة إمامنا الحسن العسكري لإسحاق بن إسماعيل الَّتي قرأتُ عليكم جانباً منها من رجال الكشي.

فماذا نقرأ في سورة التوبة في الآية الرابعة والسبعين؟: ﴿**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ من فَضْله**﴾، أغناهم اللهُ، الله لفظ الجلالة فاعل، واو عاطفة، رسولهُ معطوفٌ على لفظ الجلالة، والمعطوفُ والمعطوفُ عليه بمعنى واحد، بنفسِ القُوَّة ﴿**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ من فَضْله**﴾، فالغنى من الله ورسوله.

نحنُ هكذا نقرأ في زيارة الندبة لا أتحدَّثُ عن دعاء الندبة عن زيارة الندبة، هناك زيارةٌ مرويةٌ عن الناحية المقدَّسة تُسمَّى بزيارة الندبة وقد تُعرفُ في كُتبِ المزارات بزيارة آل ياسين غير المشهورة، هكذا نُخاطبهم: - **فَمَا شَيءٌ مِنَّا إِلَّا وَأَنْتُم لَهُ السَّبَب وَإِلَيْه السَّبِيل** - فما شيءٌ مِنَّا يا آلَ مُحَمَّد يا صاحب الزّمان، إذا اتفقتم معي على هذا فقد دخلنا في المنطقة الآمنة.

- عرض الإعلان الجديد وأهلاً أهلاً أهلاً بكم في المنطقة الآمنة.

لطفاً افتحوا الأحزمة فقد خرجنا من منطقة المطبّات المرجعيّة الخطيرة ودخلنا في المنطقة الآمنة ..

أهلاً بِكُم في المنطقة الزّهرائيّة المهدويّة الآمنة

سلامٌ على أمانِ الخائفين

وإنّي لأمانٌ لأهل الأرض

(الحجة بن الحسن صلوات الله عليه)